الخطبة الثانية والأربعون

تقوى الله وحُسن الخُلُق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْد للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، أما بعد:

عن أبي ذر جندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذي – حديث صحيح، البزار – حم – ك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال ﷺ: «أتدرون ما أكثرُ ما يُدخِلُ النار؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «الأجوفان: الفرجُ والفمُ»، قال ﷺ: «أتدرون أكثر ما يدخل الجنة؟ تقوى الله وحسن الخلق» صحيح – الأدب المفرد للبخاري.

(اتق الله) التقوى في اللغة: اتخاذ وقاية وحاجز يمنعك ويحفظك مما تخاف منه وتحذره، وتقوى الله عز وجل: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من عقابه وقاية تقيه وتحفظه منه، ويكون ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(حيثما كنت) أي: في أي زمان ومكان كنت فيه، وحدك أو في جمع، رآك الناس أم لم يَرَوْكَ، (أتبع): ألحق، وافعل عقبها مباشرة، (السيئة): الذنب الذي يصدر منك، (تمحها) تزيلها من صحائفك الملائكة الكاتبين وترفع المؤاخذة عنها،

(خالق): جاهد نفسك واحملها وعش مع الناس وعاملهم، (بخلق): بنفسية طيبة.

هذه الوصية من رسول الله ﷺ لأبي ذر ومعاذ رضي الله عنهما، وردت من طرق عدة وبمناسبات مختلفة، منها:

أ- ما أخرج ابن عبد البر في التمهيد: عن أنس رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن، فقال: «يا معاذ، اتقِ الله، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت السيئة فأتبعها حسنة» فقال: قلت: يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: «هي من أكبر الحسنات».

ب- ما أخرج أحمد: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني من النار. قال: «إذا عملت سيئة فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها. قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هي أحسن الحسنات».

2- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال ﷺ: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد» ابن ماجه - قال السيوطي صحيح رجاله ثقات.

(مخموم القلب) أي: نظيف نقي من باب خممت البيت أي نظفته.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، ومنَّ عليه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وجعل من الناس رسلاً أنزل عليهم الوحي من السماء، ليبينوا لباقي البشر طرق الخير والسعادة، وأمرهم أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئًا، وأن ينفذوا ما أمرهم به ويجتنبوا ما نهاهم عنه، وأن يسارعوا إلى فعل الخيرات والكف عن المنكرات، وأن يسعى كل منهم في تحقيق السعادة الإنسانية، ويعامل بعضهم بعضاً بالمودة والتعاون والإخاء، ويمد كل منهم للآخرين يد المساعدة والإحسان، ويتجمل بالأخلاق

الرفيعة، ويكون ذا نفس طيبة وروح أليفة وكلام جميل، وبكل ما سبق يفوز المرء، ويحظى الناس بخيري الدنيا والآخرة.

3- وصية خالدة: ما أجمل هذه العطية التي يتحفنا بها هذان الصحابيان الجليلان، إنها حديث سمعاه من مربيهما وحبيبهما محمد ﷺ، ولعله كان في الأصل منحة ووصية لهما، ثم أصبح إرشاداً وتوجيهاً، وموعظة للأمة خالدة، لما فيه من خير عميم، ونفع عظيم، يحقق سعادة الدنيا ويبشر بنعيم الآخرة، فهو وصية عظيمة، جامعة لحقوق الله تعالى وحافظة لحقوق عباده.

(التقوى): أصلها الثلاثي (وقى) أي: حمى نفسه ووقاها من المضرات والموبقات التي يستحق بها الإنسان العقاب.

1- التقوى من العذاب المخلد في النار وذلك بالتبري من الشرك، قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: 48/ 26].

2- التقوى هي تجنب كل ما به إثم، حتى الصغائر عند قوم من أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [المائدة: 5/ 65].

3- والتقوى هي أن يتنزه عما يشغل سره عن الله سبحانه وتعالى، فلا يحب ولا يكره إلا ما يكرهه الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ولا شاغل له ولا همّ له إلا مرضاة الله ورسوله، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 102].

4- التقوى سبيل النجاة: أعظم ما يوجهنا إليه رسول الله ﷺ في هذه الوصية تقوى الله عز وجل، والتي هي جماع كل خير والوقاية من كل شر، بها استحق المؤمنون التأييد والمعونة من الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: 16/ 128]، ووعدهم عليها الرزق الحسن، والخلاص من الشدائد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 65/ 2 - 3]،

وبها حفظهم من كيد الأعداء، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: 3/ 120]، وجعل للمتقين حقًا على نفسه أن يرحمهم، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 156]، ووصف نفسه تعالى بأنه حقيق بها وبالمغفرة لمن اتصف بها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 74/ 56]، وأنزلهم في الآخرة بجواره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 54/ 54 - 55].

ولقد كثرت الآيات والأحاديث في فضل التقوى وعظيم ثمراتها، ولا غرابة، فالتقوى سبيل المؤمنين، وخُلق الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 6/ 90]، ووصية الله تعالى لعباده الأولين والآخرين، فمن التزمها فاز وربح، ومن أعرض عنها هلك وخسر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: 4/ 131].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف آية لو أخذ الناس كلهم بها لكفتهم، قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾» ابن ماجه، حديث منقطع، أبو السليل لم يدرك أبا ذر.

5- حقيقة التقوى: التقوى كلمة جامعة مانعة، تشمل كل ما جاء به الإسلام من عقيدة وعبادة ومعاملة وخلق، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 2/ 177]، (في الرقاب): إعتاق العبيد وفكاك الأسرى، (البأساء): شدة الفقر والحاجة، (الضراء): المرض ونحوه، البأس: وقت شدة القتال.

فالتقوى بهذا المعنى ليست كلمة تقال، أو دعوى تُدعى دون برهان، بل هي عمل في طاعة الله عز وجل دائب، وترك صارم لمعصية الله تبارك وتعالى، ولقد فسر السلف الصالح التقوى بقولهم: أن يطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ولقد عملوا بهذا المعنى والتزموه، في سرهم وعلانيتهم، وكل حال من أحوالهم وشؤونهم، تنفيذاً لأمر الله تعالى وتلبية لندائه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 102].

يجب التنويه إلى:

- نقطة أولى مهمة جداً وهي: أن الله سبحانه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: 2/ 286] وهذا من رحمة هذا الدين بنا، وعدل الله سبحانه بنا فهو أعلم بضعفنا، لذلك منَّ علينا بهذه النعمة بأنه لم يكلفنا فوق طاقتنا.

- نقطة ثانية: أن الله سبحانه وتعالى علم أن الخطأ فينا أمرٌ جِبلّي، أي أننا كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» من حديث أنس بن مالك في ت - جه - والدارمي، لذلك الخطأ من شيمنا، ولكن علينا التوبة والاستغفار والندم وعدم الإصرار على المعصية، والاستعانة بالله لكي يحول بيننا وبين الذنوب والآثام.

- نقطة ثالثة مهمة وهي: أن الخطأ والذنب لا يُورث ولا يتوارث، وكل إنسان مسؤول عن خطئه وذنبه فقط، لذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام: 6/ 164] وهذا من نعم الله علينا، ولكن أنا مسؤول عن الذنوب والآثام التي ارتكبها غيري بسببي فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» مسلم.

- نقطة رابعة: كل الذنوب يغفرها الله سبحانه وتعالى حتى الشرك يغفره الله تعالى إذا تاب الإنسان ورجع إلى ربه ودينه ومعتقده الصحيح قبل أن يموت، قال

تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 39/ 53]، فالحمد لله والشكر له على فضله وكرمه ورحمته ورأفته وشفقته بعباده.

6- ومن كمال التقوى: البعد عن الشبهات وما التبس بالحرام من الأمور، قال ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» رواه البخاري ومسلم.

ويدخل في هذا المعنى أن يتنزه عن كثير من المباحات التي يخشى منها أن توقع في المحرمات. روى الترمذي وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس». قال الحسن البصري: «ما زالت التقوى بالمتقين، حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام».

7- شرط تحقق التقوى: لا تتحقق التقوى بمعانيها ولا تؤتي ثمارها، إلا إذا توفر العلم بدين الله تعالى لدى المسلم، ليعرف كيف يتقي الله عز وجل وكيف يعبده، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 35/ 28]، قال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» رواه الترمذي، وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» رواه مسلم، وقال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» متفق عليه.

8- التوبة من الذنب والإسراع في عمل الخير خُلُقُ المتقين: قد يغلب على الإنسان النسيان أو الغفلة، وقد تغريه نفسه أو يوسوس له شيطانه، فيقع في المعصية ويرتكب الذنب، ومن التقوى -عندئذ- أن يسارع إلى التوبة ويستغفر الله عز وجل إذا ذُكِّر أو نُبِّه، قال تعالى في وصف المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 135]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 201]، ثم يبادر المسلم التقي،

بعد التوبة والاستغفار، إلى فعل الخيرات والإكثار من الأعمال الصالحة، لتكفر عنه ذنبه وتمحو ما اقترفه من إثم، واثقاً بوعد الله تعالى إذ قال: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 11/ 114]، ومستجيباً لأمر رسول الله ﷺ إذ قال: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» ت - البزار - ك - حم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» حديث حسن - رواه ابن ماجه.

9- نور الطاعة يبدد ظلمة المعصية: إن القيام بالأعمال الصالحة والمواظبة عليها، كالصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد وذكر الله تعالى، وغيرها من أعمال البر والخير، تمحو ما يقع به المسلم من زلات ومخالفات ودليل ذلك قوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

- حديث مسلم قوله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: « الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة».

إسباغ الوضوء على المكاره: أي إتمامه وكماله، ولا سيما الأحوال القاسية، كشدة البرد ونحوها.

وقوله ﷺ: «من حج هذا البيت، فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» متفق عليه.

10- التوبة شرط لتكفير الكبائر: أجمع المسلمون على أن الحسنات تكفر الذنوب الصغيرة، وأما الذنوب الكبيرة، وهي كل ذنب توعد الله تعالى عليه بالعقاب الشديد، كعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا، وشرب الخمر ونحو ذلك، فلا بد فيها من

التوبة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: 20/ 82]، هذا إذا كان الذنب لا يتعلق بحق العباد، فإن كان متعلقاً بحق العباد، كالسرقة والغصب والقتل ونحو ذلك، فلا بد فيها من أداء الحقوق لأهلها، أو طلب المسامحة منهم ومسامحتهم، فإذا حصل ذلك رُجّي من الله تعالى القبول ومحو الذنوب، بل تبديلها حسنات، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: 25/ 70].

وإذا لم يحصل الوفاء أو الإبراء، كانت المقاصة يوم القيامة.

روى البخاري: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا خَلَصَ المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذّبُوا أُذن لهم بدخول الجنة» يتقاصون: يتحاسبون ويتسامحون، ويغفر بعضهم لبعض، والله أعلم.

11- الأخلاق أساس لصلاح المجتمع: يوجهنا رسول الله ﷺ في هذه الوصية، إلى أمر فيه صلاح الفرد واستقامة نظام المجتمع، ألا وهو معاملة الناس بالخلق الحسن الجميل، معاملة الإنسان للناس بما يُحب أن يعاملوه به من الخير، حتى يصبح المسلم أليفاً، يحب الناس ويُحبونه، ويُكرمهم ويُكرمونه، ويُحسن إليهم ويُحسنون إليه، وعندما يندفع كل فرد في المجتمع إلى القيام بواجبه راضياً مطمئناً، فتستقيم الأمور وينتظم المجتمع.

ولما للأخلاق من قيمة على حياة الأمم، كانت لها منزلة رفيعة في الإسلام، وأولاها عناية فائقة، وحسبنا دليلاً على ذلك كثرة الآيات والأحاديث الواردة في الحث على الأخذ بمكارم الأخلاق، وبيان فضل الملتزم لها والمتصف بها:

- فمن الآيات قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 199]، وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 41/ 34].

ومن الأحاديث ما رواه ابن حبان في صحيحه، من قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأحبكم إلى الله، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ قالوا: بلى، قال: أحسنكم خلقاً»، وما رواه أحمد وأبو داود من قوله ﷺ: «خياركم أحاسنكم خلقاً»، وقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»، ويجمع ذلك كله ما رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم والبيهقي أنه قال ﷺ: «إنما بعثت لأُتمم مكارمَ الأخلاق».

12- اكتساب الخلق الحسن: يمكن للإنسان أن يكتسب الأخلاق الحسنة الرفيعة، فقد ورد في رواية عن معاذ، رواها الحاكم وغيره بألفاظ مختلفة، أنه ﷺ قال: «حَسِّنْ خلقك مع الناس» وفي لفظ: «ولتحسن خلقك ما استطعت» ويتحقق اكتساب الخلق الحسن بأمور:

أعلاها: الاقتداء برسول الله ﷺ في حسن خلقه، ولقد أمرنا الله عز وجل بذلك إذ قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 33/ 21].

وحسبنا أنه كان على مستوى رفيع من الأخلاق الحسنة، أن الله تعالى وصفه في قرآنه الحكيم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 68/ 4].

ومن وسائل اكتساب الأخلاق الحميدة: صحبة الأتقياء والعلماء، وذوي الأخلاق الفاضلة، ومجانبة الأشرار وذوي الفعال الدنيئة الرديئة، قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: 18/ 28]، أي مجاوزاً للحد.

13- من حسن الخلق: صلة الرحم، والعفو والصفح، والعطاء رغم المنع، روى الحاكم وغيره عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك» وفي رواية عند أحمد: «وتصفح عمن شتمك».

ومن حسن الخلق: بشاشة الوجه، والحلم والتواضع، والتودد إلى الناس، وعدم سوء الظن بهم، وكف الأذى عنهم، قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» رواه مسلم، أي متهللاً بالابتسام والبشر، وقال ﷺ: «فليمسك عن الشر فإنه له صدقة» رواه البخاري ومسلم.

- من فوائد التقوى:

1- الفوز بالولاية، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 10/ 62 - 63].

2- وصية الله للمؤمنين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 4/ 131].

3- يكن الله معيناً له ورازقاً، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 65/ 2 - 3].

4- ييسر الله له أموره، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 65/ 4].

5- يُكفر الله عنه سيئاته، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 65/ 5].

قال عليه الصلاة والسلام: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة الصوم والصلاة» الترمذي - صحيح الجامع (5726).

اقتبست هذه الخطبة من كتاب شرح الأربعين النووية، الدكتور مصطفى ديب البغا والأستاذ محي الدين مستو جزاهم الله خيراً، مع التصرف والإضافات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم